القارئ كاتب رابع في رواية «... وتحقق الأمل»

■ لارا سعد مراد

غلاف الكتاب

هيفاء العرب، لبنى نويهض وندى شحادة معوض، ثلاث كاتبات ذيّلن معاً قصة حب حقيقية بعنوان «... وتحقق الأمل». وتحقق املهن بالفعل، فالأسلوب واحد من بداية الرواية الى آخرها، والقارئ اذ ذاك لا يميّز بين فصل كتبته هيفاء وآخر كتبته لبنى او ندى، ولكن القارئ نفسه، يكاد يكون الكاتب «الرابع»، كونه يتعاطى مع مادة كتابية فريدة، لا تكتفي بذاتها، بل تفتش عن ذوات مستعدة للمشاركة والذوبان في الموضوع، وهو ما يبدو غاية في حد ذاتها لواضعات الكتاب او ناقلات القصة.

«... وتحقق الأمل» رواية حدثت فعلاً، وقد روتها لهنّ «البطلة» نفسها بعد ان اخذت وعداً منهن بعدم النشر الا بعد موتها. ورغم واقعيتها تبدو القصة حاملة الكثير من الحب والكثير من الغضب، والكثير من الفرح والكثير من الواقع والكثير من الحلم... وهذا «الكثير» بعضه ما يغني الرواية، وبعضه الآخر ما يدعو القارئ الى التدخل رغماً عنه ليقفز مقطعاً او يقلب صفحة، استعجالاً ربما للوصول الى النتيجة... وفي بعض هذا «الكثير» ايضاً ما يدعو القارئ في بعض الأحيان الى حمل القلم لحذف موقف او اضافة آخر، وذلك هرباً ربما من حالة لا يريد للبطلة ان تعيشها، او حالة أخرى لا يريد لزوجها ان يكون فيها...

وضرورة التدخل التي يستشعرها القارئ غنية بالشحنات الايجابية، كونها تحرك فيه الدافع الى التغيير، ولا يغيّر المرء ما لا يعنيه، بل ما يعنيه بشدة، وفي الصميم.

مع «... وتحقق الأمل» ابحار على سفينة بحار متمرس، يعشق البحر عشقه لنفسه، ومع زوجة كانت حبيبة، ولكنها حاملة منذ البداية، بذور التحرر من الحبيب وان من حيث لا تدري... وقد نبتت رؤوس تلك البذور من لحظة مغازلتها الشمس، او مغازلة الشمس لها، ومنذ لحظة هيامها بالبحر والاستجابة لغزل الأمواج. ومنذ البداية ايضاً، كانت الزوجة صادقة كل الصدق، وما خيانتها «الحقيقية» في ما بعد، الا دليلا على هذا الصدق، كما ضياعها، كما حاجتها، الى زوجها والأمومة التي لم يكن يستطيع ان يهديها لها.

لينا وجدت في ما بعد حبيب العمر الذي لم يكن القبطان، وقد جاريت معه من اجل حبهما وثمرة هذا الحب التي نمت أخيراً في احشائها. وبين حبين، كانت حياة لينا، كاملة شاملة، رحبة ومتفتحة، كما الارض، كما الشمس، كما القمر، كما النجوم، كما الشجر، كما الريح، كما البحر... كانت حياة مليئة بكل شيء، كانت كلا يتعاطى مع اجزائه، وكل جزء كان يتعاطى مع جزئه الآخر، بكل تكامل وانسجام، فالمشاعر لا تسكن الروح الفردية فقط، بل تنتقل الى كل ما يحيط بتلك الروح من اشخاص وغيوم وشموس ونجوم وحتى هواء... النسمة لها سبب وشعاع الشمس له هدف، يستحي امام وجع الروح ويشرق بالنور امام فرحها، الموجة كانت تحادث القبطان وتغازل زوجته في الوقع عينه، وكأن الخيانة من فعل «الطبيعة» لا من فعل الجسد...

الثمرة كانت ترفض ان تتكوّن في جسد يرفض جسد الزوج رغم حاجته اليه، والبذرة هجرت ذلك الجسد الذكوري لانه لم يحترمها فعلاً او على الأقل لم يعاملها كما كانت تريد.

هل صحيح ان الحب مشاعر متبادلة بين شخصين، ام انه شمس وريح وغيمة وموجة، او حتى ارض ونجوم تتسامر حيناً وتتنافر حيناً آخر.

هل الخطيئة ممارسة الخاطئ، ام انها نزوة يرتكبها رمل الشاطئ، فيغضب لها البحر زبداً، ثم يمحوها غفرانا.

هل الشوق الى الامومة مجرد شعور انثوي، ام انه درب تقرر الحياة وحدها متى واين ولماذا تندفع فيه.

كلها اسئلة تطرح نفسها لدى القارئ، وتلح بالطرح عندما تكون القصة واقعية حدثت فعلاً، وعندما تكون لينا وابنها قد وجدا فعلاً، كما القبطان وكابرو ووالده وغيرهم...

فكيف لقصة تضج بكل تلك الاسئلة ان تروي ظمأ قارئها، وكيف لقارئ ان يكتفي بالقراءة امام حياة، وكيف تعلم ان يعبّر عن عمر كامل من دون «هفوات» هي ربما... متعة العمر؟!

«... وتحقق الأمل، حكاية كون، لا تُقرأ بأبجدية وبلاغة وصياغة وديباجة، لانها ليست لها، بل تُقرأ بعيون القلب وتُدرك بشغف البصيرة...